يحكمنا ويعنينا، دون أية محاولة لاسقاط ضوء من رؤية مغايرة على رؤيتهم. وهو ما يجعلنا ننظر الى هذه الامـاكن، كأمكنة في المنفى، بغض النظر عن الرؤية الجغرافية للمكان، أو الحدود التاريخية لفلسطين التاريخية، ذلك لأننا لا نتعامل، هنا، وفي أي عمل ابداعي، مع المكان كوجود موضوعي بقدر ما نتعامل معه كوجود وجداني، ظاهراتي، ذلك لأن «القيم» الشعورية، والوجدانية، «تغير الحقائق» الموضوعية، على حدّ تعبير غاستون باشلار، وكما سنرى بعد قليل. وفي تساوق مع الاقتراح الاخير، نذهب نحو اقتراح آخر يتصل بالأمكنة التي تذهب بعيداً في المنفى، أي نحو منفى المنفى، فمثلما نظرنا الى المنفى في الوطن بوصفه منفى، كذلك ننظر الى منفى المنفى بوصفه مكاناً في المنفى، ومثلما رأينا إلى المسافة الفاصلة بين المنفى في الوطن ومسقط الرأس بوصفها حدّاً، كذلك ينظر الى المسافة الفاصلة بين المنفى (هنا) والمنفى (هناك) حداً أيضاً، وذلك لأنه يتوجب على الشخصية الذاهبة نحو المنفى هناك، أن تخترق هذا الحدّ، مثلما يتوجب على الشخصية الذاهبة نحو الوطن ـ مسقط الرأس (هناك) أن تخترق الحدّ الذي يفصل بين المكانين داخل الوطن الواحد.

وفي ضوء هذا النموذج الشمولي، سنذهب الى قراءة أماكن المنفى في روايات كنفاني، وتحليلها، على مستـويات عدّة: آليات انبثاقها، تمظهراتها وتجلياتها المختلفة، علاقاتها مع المكوّنات الأخرى كالأحـداث والشخصيات، حركاتها الدلالية ومدلولاتها، وتحوّلات الدلالة، بحيث نبقى دائماً داخل النصّ الروائي وتشابك علاقاته، وداخل الضوء الذي يقدّمه نموذج البنية المكانية الكلية للرواية الكنفانية.

## أماكن المنفى، علاقاتها وتحوّلاتها الدلالية

نبدأ تعرفنا على مجال المنفى، بوصفه واحداً من مجالات المكان الروائي في الرواية الكنفانية، تنهض بقراءته هذه الدراسة ـ بالتعرّف على سماته الطوبوغرافية، ومكوّناته المكانية، متابعين ما سبق الاشارة اليه من مستويات للتحليل، ومن خطوات منهجية واجراءات ضرورية. ويبدو لافتاً، منذ البدء، أن هذا المجال المكاني الذي يتشكّل في سياق النسيج الروائي، ينقسم الى حيزين أولهما: حيز المنفى داخل الوطن. وثانيهما: حيز المنفى خارج الوطن. وكل من الحيزين يتشكّل من أماكن جزئية متعارضة، أو متجاوبة، كالمدن والقرى والمخيمات، وداخل هذه الاماكن توجد أماكن صغرى، ومحتويات وأشياء تقبع داخل هذه الأماكن، قد تتعارض او تتجاوب: بنائياً ودلالياً، فثمة طرق وشوارع في المدن، وثمة أزقة وممرات ضيّقة في المخيمات والقرى، ثمة عمارات عالية وبيوت من إسمنت ومنازل في المدن، وثمة أسقف واطئة، وبيوت طين وأكواخ تنك في المخيمات، وثمة داخل هذه البيوت أشياء ومحتويات، مثلما توجد داخل المخيمات والمدن والقرى أماكن صغرى غير البيوت تحتوي أشياء ومكوّنات يجرى توظيفها في بناء أماكن المنفى كواحد من المجالات المكانية في الروايات التي نحللها.. فلنذهب، إذن، الى التعرّف على كلا الحيّزين، في ضوء ما قدّمناه حتى الآن.

### الحيز الاول: أماكن المنفى داخل الوطن

من خلال تداعيات أبي قيس (أحد شخصيات رجال في الشمس) نتعرّف على جانب مما تختزنه ذاكـرتـه عن ماضيـه في الوطن، وعلى أحداث وقعت، ثم يتدخل الراوي، ليحدّد أماكن وقوع هذه الاحداث، ومن بين هذه التدخلات ثلاثة مواضع نتعرف من خلالها على مكان انتقل اليه أبو قيس، داخل الوطن، هو بمثابة منفى يلتبس فيه الجبر والاختيار، فأبو قيس هو الذي انتقل اليه، ولكنه انتقل من قريتـه، لأن هذه الاخـيرة كانت على خطوط القتـال، وهـذا ما نفهمه، ضمناً، من قول الراوي: